فلسفة اللغة و أثرها في الإعجاز القرآني

د. يعقوب حسن عبد م.م. محمد سلمان جميل
الجامعة العراقية – كلية التربية–الطارمية – قسم اللغة العربية

(**خلاصة البحث**)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة، والنعمة المسداة وعلى آله وصحبه الطيبين الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

القرآن الكريم ، كتاب الله عز وجل خير الكتب، وبيانه أعلى بيان ، وهو أعظم المعجزات انزله على خاتم الأنبياء والرسل، ظاهره أنيق، وباطنه عميق ،لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه،ولا تكشف الظلمات إلا به. وحديث القران الكريم ذو شجون، متعدد الأبعاد والسمات ، فهو نور الله إلى الأرض وهو الهدى والحق والفرقان والإعجاز فيه شيئين:–

ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، والعجز في العالم واحد ، واستمرار العجز في النفس البشرية مع تراخي الزمن وتقدمه.

– والقران الكريم بأسلوبه ونظمه معجز ، فهو يمس اللغة ويحاورها والروح اللغوية من أولئك العرب العصماء البلغاء تستلهم وجوه الإعجاز فيه لأنها جسد وروح لفظ ومعنى شكل ومضمون. لا ينفصل احدهما عن الآخر ولا يرتاب احد عندما يسمع القرآن الكريم معجزة العربية في بلاغته ونظمه واتساع رقة أوضاعه وأسراره. أما البحث في شكله الأخير جاء بعنوان (**فلسفة اللغة و أثرها في الإعجاز القرآني**) وقد انتهى في

مقدمة وخمسة مباحث تناول المبحث الأول :الإعجاز لغة واصطلاحا وتناول المبحث الثاني: الترادف والإعجاز و المبحث الثالث: المقصد القرآني والإعجاز أما المبحث الرابع تناول: الإعجاز القرآني والعقل الإنساني بينما المبحث الخامس تناول: الإعجاز والحروف المقطعة ، لا نؤثر تفصيل القول فيها في هذه المقدمة ، مكتفين عن ذلك بالإشارة إلى العنوانات الرئيسة التي توزعت مادة البحث فيها من أوله إلى آخره ، والحمد لله في البدء والختام.

المبحث الأول: **الإعجاز لغة واصطلاحا**.

الإعجاز لغة:

ذهب ابن منظور الى ان العجز: الضعف ، وهو نقيض الحزم ، وفي حديث ابن عمر ((ولا تلثوا بدار معجزة)) اي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش[1].

وقوله تعالى في سورة سبأ ((وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ)) في معنى متسابقين ، ومن قرأ مُعجَزين قال الزجاج :فمعناه أنهم يُجزَون من امن بها ويكون في معنى مثبطين وهو معنى تعجيزهم من امن بها [2] وذكر ابن فارس في مقاييس اللغة "ان العين والجيم والزاي تدل على أصلين : احدهما الضعف والأخر مؤخر الشيء"[3].

وعند الراغب الأصفهاني –رحمه الله– مادة: عجز : عجزُ الإنسان مؤخره ، وبه شبه مؤخر غيره ، والعجز أصله التأخر من الشيء ، وأصبح في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء ،وهو ضد القدرة ،قال تعالى ((كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)) وعلى لسان زوج إبراهيم عليه السلام ((قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِ يشَيْخًا)) وتبين من اراء ائمة اللغة. ان هناك صله وثيقة بين المعاني المذكورة وان قصر

واتسع المعنى ، فأن التأخر والضعف متلازمان ، لان من تأخر عن غيره انما يرجع ذلك الى ضعفه ،واللغويون والمفسرون اجمعوا على هذا المعنى [4].

ومن المحدثين من يلتفت الى معاني جديدة تدل على سعة الإعجاز عندما يتأمل السنن الكونية ويحكم دلالة العقل وتصوره لذا يرى الدكتور صلاح الخالدي : ان للعجز استعمالات واشتقاقات فإعجاز النخل : اواخرها ، وهي اقوى جزء فيها ، لأنها تحمل كل ما فوقها ، واعجاز الليل اواخره ، وهي اللحظات التي تسبق الفجر ، وهي اشد اجزاء الليل ظلاماً وحلوكة وسوداً ، واعجاز الابل اقوى ما فيها لأنها تحمل عليها الاحمال والاثقال ، وعجز البيت اقوى من صدره ، لان فيه القافية التي تربطه مع باقي ابيات القصيدة [5].

الاعجاز : **اصطلاحاً**.

امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ، ويتمثل فيما يتركه القرآن الكريم من اثر ظاهر او باطن على سامعه او قارئه [6].

وقد عرف علمائنا الافاضل القرآن الكريم بانه "كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم المعجز المتلو المتواتر" [7].

ومعنى اعجاز القرآن عجز الناس على ان يأتوا بمثله ، فكلمة اعجاز مصدر واضافتها الى القرآن الكريم من اضافة المصدر لفاعله ، ومعنى ذلك ان هذا القران دل بما فيه من بيان على انه من عند الله ، وثبت عجز الناس ان يأتوا بمثله ، وهو باقٍ الى يوم القيامة وهو يحمل المعجزة العقلية برهاناً لأهل التمييز والبصيرة.

الترادف والاعجاز

الترادف : قضية شغلت الكثير من العلماء قديماً وحديثاً ، بين مؤيد ومنكر ولا يعنينا تفصيل هذه القضية هنا ، ولكن الذي نطمئن إليه إن القرآن الكريم يسع

جميع الظواهر اللغوية ، والمتتبع للآيات القرآنية يجد ذلك بوضوح . وان حصل الاختلاف بين اللغويين العرب

والبحث عن معانيها وتفسيرها اخذ العلماء في تصنيف هذه المادة اللغوية ، إلى أنماط شتى ، وعنى بعضهم بجمع الكلمات التي تدل على معنى واحد ، وأطلقوا عليها مسمى خاص بها اطلقوا عليه مصطلح" الترادف" واحياناً باسم " ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه"[8] .

وحين نصف العربية بسعة التعبير ، وكثرة المفردات ، وتنوع الدلالات ، جدير بنا ان نذكر لغة القران ، فقد اتيح لها من الظروف والعوامل ما وسع في طرائق استعمالها ، واساليب اشتقاقها ، وتنوع لهجاتها ولكن بعض العلماء القدامى ينكرون وقوع الترادف في اللغة العربية ، حين يلتمسون الفروق الدقيقة بين الكلمات .

الا ان العربية بلغت حد الاعجاز و هي تعبر عن صوت الشيء الواحد بألفاظ مختلفة ، تراعي معها التفاوت ، في علوه وهبوطه وعمقه وسطحيته فصوت الانسان الخفي ، قد يكون همساً او جرساً او خشفة او همشة [9].

وعلى هذا الاساس فان ظاهرة الترادف واقعة في القران الكريم ، وان نزل القران الكريم بلغة قريش ، فلا طول عمر ان يستعمل القران الكريم الفاظ جديدة الى جانب الالفاظ القريشية الخالصة القديمة ، وبهذا فقد استعمل القران مفردات اختلفت في اللفظ وتقاربت في المعنى ومن ذلك (اية/ سلطان/ برهان/) وهذه المفردات وان لا تدل على معنى الاعجاز الكامل وانما دلت على جزء من معناه ، ولا سيما ان للإعجازاكثر من وجه .وعند الرجوع الى الاصول اللغوية لهذه الالفاظ نجدها تعطي المعاني البدائية للإعجاز اللغوي لمفردة القران الكريم. وسنتعرض لهذه الكلمات لبيان حقيقة مقاصدها ودلالة معانيها واثرها في بيان الاعجاز القرآني.

الآيـــة

أصل يدل على النظر والتشخيص[10]، وقد استعملت في اللغة بمعاني متعددة ، منها العلامة وهو الغالب والمستفيض ، والإمارة ، والإشارة ،والعبرة [11] ،وفي معنى العلامة قوله تعالى ((فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً) [12] ،قال النسقي: ((أيات بينات)) علامات واضمات لا تلتبس على احد [13] وقال السيوطي ((فيه أيات بينات)) أي : الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت وأثر قدماه فيه، وبقي إلى الآن[14].

وقد وردت الأية بمعنى المعجزة كما في قوليه تعالى(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً)[15]

قال النسقي :أياتنا : معجزاتنا [16]: وقال صاحب التنوير: أياتنا التسع جاءهم موسى بها [17] وقد جمعها الفيروز ابادي في بيت ذكره في مادة (تسع) من القاموس وهو [18] دمٌ ،يدٌ بعد الضفادع طوفان ،عَصا، سَنَةٌ، بحر ،جرادٌ، وقمل ... وكل ذلك للتعريف بعظم صنع الله وتقديره.

وتطلق الآية على الآيات (الكونية القدرية) كما ورد في قوله تعالى ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ))[19] وقال تعالى ((وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً))[20] وفي هذا التوجيه الثنائي هنالك تناسب في الدلالة بين الاعجاز والآية. فلم يقل جل وعلا آيتين ، لان المعنى فيهما معنى آية واحدة ، لان قصتهما واحدة ، وهي الولادة دون الفحل ، ولم يكن هذا في ولد قط[21] وان اختلفت الاساليب التعبير في آيات كثير في القرآن الكريم ، ولن نتوسع في نقل كثير من النصوص حتى لا تتسع مساحة البحث ، ونكتفي بذكر مثال او مثالين لأثبات الاعجاز من حيث الفلسفة اللغوية.

السلطان: وردت لفظة سلطان في القرآن الكريم وهي تحمل معاني متعددة لما يئول اليه الامر وتداخلت هذه اللفظة مع مصطلح الاعجاز [22]ومن معاني السلطان الحجة والبرهان قال الزجاج في قوله تعالى ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) [23] أي حجة وبينه ، وسمي السلطان سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه،واشتقاق السلطان من السليط ،والسليط :ما يضاء به، وذكر صاحب التحرير والتنوير : سلطان مبين أي ما ظهر عليه من المعجزات الباهرة كالعصا واليد البيضاء والسلطان : الحجة العقلية التأييد الألهي. .

وفي قوله تعالى((فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)) [24] أي حيثما كنتم شاهدتم حجة الله تعالى وسلطانه ومن معاني السلطان القدرة كما في قوله تعالى((فَأْتُونَا بسلطان مبين)) [25] . ومن محاور العبادة وردت كلمة السلطان بمعنى الحجة والدليل والبرهان كما في قوله تعالى((هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)) [26] وفي موطن آخر من سياقات القرآن الكريم ونظمه جاءت مفردة السلطان بمقصد جديد يتناسب مع الإعجاز القرآني كما في قوله تعالى ((وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ* فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ))[27]، اريد بمفردة السلطان (المعجزة الحسية) اي ما ظهر لسيدنا موسى عليه السلام من المعجزات الباهرة كالعصا واليد البيضاء هي معجزات حسية وليست معنوية [28].وتأتي بإدارة الله تعالى عند تحدي الأنبياء

وكذلك وردت كلمة السلطان بمعنى القوة والتسلط على القاتل كما في قوله تعالى ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا))[29]

البرهان

مصدر بره يبره كسمع يسمع ، ومنه البرهرهة وهذا يقال للمرءة البيضاء الشابة والبرهة : الزمن الطويل أو مطلق الزمان وهو اوكد الأدلة الذي يقتضي الصدق ابدا لا محالة وقد وردت كلمة البرهان في كتب اللغة والمعاجم بمعان عدة تحمل إشارات دلالة الإعجاز ومن ذلك الحجة القاطعة ، الدليل الواضح ، الرسوخ والثبوت ، الفاصلة الواضحة هذه العبارات تشهد بصحة الاعجاز لما دل عليه البرهان من المعاني المبتكرة والحكم المثالية التي تدخل في اسرار القرآن الكريم الذي لا تنحصر معانيه وعندما تقتضي دلالة البرهان المعاني المحتملة من دلالة الأعجاز يعني ان هذه المفردة انسب للمعنى من اي دلالة اخرى لذا جاءت مفردة البرهان في القرآن الكريم على ثلاثة اوجه[30]:

الاول :- بمعنى المعجزة والولاية قال تعالى ((اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ))[31]. ولو جمعنا مدارك النظر في المفردات القرآنية من خلال سياق هذه الآية وما حوت من الحسن والمعاني الشريفة نجد ان مفردة البرهان تدل على نور الإعجاز، فالتلائم بينها يضيف بين العبارتين حسن البيان والعلاقة الثنائية بين الاعجاز والبرهان هي علاقة معنى كالعلاقة بين الدال والمدلول واللفظ والمعنى فيتبين لنا ان لا شيء يداني القرآن الكريم في قوة الفاظه وتصوير بلاغته او يشاكله في اعجازه ولو افردنا كل كلمة لكانت المفردة القرآنية غاية في الجمال البلاغي والدليل الاعجازي .وذلك لما تحمل من خصوصيته في اللفظ والمعنى.

الثاني : – الدليل والحجة . قال تعالى ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) [32].
فمفردة الدليل تستعمل عند العرب لعدة معاني منها ، الامارة ، الهداية ، الاعتقاد ، العبارة وقد تسمو هذه المعاني الى دلالة الاعجاز عندما تقترن بالسنن الكونية[33]
الثالث :– بمعنى القرآن والنبوة . قال تعالى (يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) [34] البرهان هنا الكتاب والرسول [35]. فالبرهان والاعجاز حقيقتان لأمر واحد وتكشف لنا العلاقة الدلاية بين المفردات القرآنية التي حوت معنى الإعجاز، كالآية ،والسلطان ، والبرهان ، صورة الترادف اللغوي بينهما وان لم يقع الترادف التام بينهما الا ان الترادف الجزئي حاصل لان مجموع هذه الكلمات قد دلت في حقيقتها على جزء من معنى الاعجاز لان الدليل او الحجة بمعنى حادثة من الحوادث ، ومن الصعب جداً نحدد الفروق الدلالية بين هذه المفردات. لان منها ما يأتي في موضع الاخبار ، وعليه يكون الاعجاز هو اخبار القرآن الكريم بحقيقة اثبتها العلم التجريبي وثبت عدم امكانية ادراكها بالوسائل البشرية .

المقصد القرآني والاعجاز

نعني بمصطلح (المقصد القرآني) دلالة اللفظة قرآنياً في موضعها ، بحيث ينصرف اليها المطلب في الاعجاز ، وبحسب المقتضيات الإلهية المرادة ، وان كنا في يقين تام من ان المقصد القرآني يؤول في داخله القريب او البعيد الى اصول لغوية قديمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الازفة/ الحسنى/ الساجدون/ السقف/ السيئة/ المصابيح/ نفخ / الحج ،وقد يجيء المقصد القرآني متسقاً من الاستعمال القرآني او مطابقاً للحقيقة اللغوية.عندما ننظر الى المفردة بالاتجاه الذي اراده المقصد القرآني على بصيرة ، وان لا نتخبط في عشواء الكلام لأثبات دلالة المفردة ضمن هذا المحور

وقد فصل القول في ذلك ابن فارس: قائلاً((كانت العرب في جاهليها على ارث من ارث ابائهم في لغاتهم ، وآدابهم ، ونسائكهم ، وقرابينهم ، فلما جاء الله جل ثنائه بالإسلام حالت احول، ونسخت ديانات ،وابطلت امور ، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع اخرى بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ،فعفى الاخر الاول . فكان مما جاء في الاسلام ذكر المؤمن ، والمسلم والكافر والمنافق ، وانماالعرب عرفت المؤمن من الامان ، والايمان ، وهو التصديق ،ثم زادت الشريعة شرائط ، واوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء ، وذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء ، والستر [36]. فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا غيرما اظهروه، وكان الاصل من نافقاء حجر الضب واليربوع واستعاره بعضهم للشيطان فقال :

اذا الشيطان قصع في قفها تنفقناه في الخبل التؤام[37]

ومن هذا الضرب كل ما استحدثه اهل العلوم ، والصناعات من الاسماء كمصطلحات الفقه ، والنحو، والعروض ،وغيره مما يكون له اسمان :لغوي ، وصناعي ، والاصل في جميع ذلك الالفاظ الشرعية التي نقلها الرسول ﷺالى الشرع كما رأيت.وقال الجاحظ: ان اول من سمي الارض التي لم تحفر قط ، ولم تحرث اذا فعل بها ذلك (مظلومة) النابغة... وقد تبعته العرب على ذلك ، ومنه قيل : سقاء مظلوم ، اذا اعجل عليه قبل ادراكه[38]،حيث يقول من البسيط

إلا الأوراري لأي ما أبينهـا والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

ويدل على هذا ان الاسم أحدث في الإسلام وفي موضع اخر من (الحيوان)،ان النابغة ابتدأ هذا الاسم على الاشتقاق من أصل اللغة ، وان العرب اجتمعت على تصويبه

، وعلى إتباع أثره ، وقد تكون تطور المفردات علميه ، وذلك كما نرى في قوله تعالى ((وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)) [29]وقوله سبحانه((وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ))[40]

وقد نرى وجه الاعجاز بين الآيتين ، ان القرآن الكريم استعمل كلمتين اثنتين، فبجانب النجوم ذكر الانكدار وبجانب الكواكب ذكر الانتشار ، ولما كانت النجوم مضيئة كانت الكلمة التي تناسبها وتلائمها في الاستعمال مفردة (الانكدار)وانكدار الشيء بمعنى انقضى ، وانكدرت النجوم انقضت وتساقطت على الارض اذا كسرت ، قال الحجاج يصف صقرا :

ابصر صربات فلاةً فانكدر تقضي البازي اذا البازي كسر[41]

ولما كانت الكواكب ليست كالنجوم وانما هي اجسام صلبة غير مضيئة بذاتها كانت الكلمة التي تناسبها (الانتشار) لأنها تتحطم اجزائها وتتناثر ، ونثر الشيء ، تفرقه من كل شيء [42]. والمتدبر لهاتين الآيتين يجد وجه الاعجاز اللغوي بين المفردتين (انكدر وانتشر) بانه السياق القرآني هو الحكم الاول المفردة القرآنية .

ومن لطائف اللفظتين يحملان نفس العدد من الحر و فلو تدبرنا مفردة البيان في قوله تعالى: ((قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ)) [43]. وفي قوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)) [44] نجد إن الأصل اللغوي لهذه المفردة يدل على نقيض الهدم . وقد حصر لها اهل اللغة وجوهاً كثيرة استعملت عند العرب اهمها:

البناء المتعارف عليه بطرق معلومة من وضع الحجارة او اللبنات بعضها فوق بعض، واستعمل ابو حنيفة البناء في السفن فقال يصف لوحاً يجعله اصحاب المراكب في بناء السفن [45]والبناء في الشرف قال لبيد :

فبنا لنا بيتا رفيعا سمكه فسَما إليه كهلها وغلامها

والبناء. الجماع ، ولزوم آخر الكلمة ضرباً ، البيوت التي سكنها العرب في الصحراء، ولو نظرنا الى مراد الله تعالى في قوله ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً))[46] نجد ام مفردة (البناء) جاءت حديثاً عن السماء لتصور لنا مقصداً جديداً من المقاصد القرآنية ، ولا ريب بان تغاير الكلمتين في كتاب الله ، فضلا عما له من قيمة بيانية يعطينا قيمة علمية كذلك ، فبنيان الارض له قواعده واسسه ، اما الاجرام السماوية فتختلف اختلافاً تاماً عما عهده الناس في الارض ، فبنائها ليس باللبنات ، ولا بالحجارة ، ولكن يشد بعضها الى بعض بما اودعه الله في هذا الكون من قوانين الجاذبية وغيرها. وهكذا يمكن ان نقول ان فلسفة اللغة اسهمت في بيان وجوه التصاهر بين المفردات ، واثبتت لنا القيمة البيانية اساساً لقيم كثيرة . وان الاعجاز البياني هو اعظم واهم واعم وجوه الإعجاز القرآني ، ولا بد ان نقرر هنا ان عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية في سياق الآيات القرآنية او خارج السياق ، قد حرم الناس من فوائد كثيرة ، وحال بينهم وبين ادراك متكامل لمدلول الكلمةالقرآنية ، وسد امامهم ابواب الوعي الدقيق لكثير من الآيات الكريمة ، ونعترف ان الكثير من كتب التفسير والمعاجم اللغوية كانت سببا في ذلك كله حيث التقت هذه الكتب والمعاجم على ان تعطي المعنى القريب للكلمة القرآنية ، فتشتبه المعاني ، وتختلط بعضها ببعض. وقد تنعكس هذه المفاهيم على الذات او المجتمع[47].

يقول الامام ابن عطية [48] ووجه الاعجاز في القرآن الكريم ، أن الله تعالى قد احاط بكل شيء علماً فبهذا جاء القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة والبيان ليبطل قول العرب ان يأتوا بمثله بكلامهم الموزون أو المنثور فقوة اللفظة القرآنية وما اشبعت من دلالات ايمانية ولغوية لا تأتي في اي موطن اخر من كلام العرب القديم

والحديث " وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم ادير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد ، ونحن يتبين لنا البراعة في اكثره ، ويخفي علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب – يومئذ ـ في سلامة الذوق ، وجودة القريحة[49].

وما قاله ابن عطية ، كلام حري بالتقدير ، جدير بالدراسة ،إذ ان المفردات القرآنية لها خصائص ومميزات في جمال وقعها ، واتساقها الكامل مع المعنى ، واتساع دلالتها لما لا تتسع دلالات الكلمات الاخرى في لغة العرب.

فالمفردات القرآنية اذن مفردات مختارة منتقاة ، ولا ادل على ذلك من اننا حين ننظر في المعاجم اللغوية نجدها زاخرة بالألفاظ الكثيرة ، ولكل مادة اشتقاقاتها الكثيرة المتعددة ، وهي من حيث الفصاحة والخفة ليست سواء اولاً ، وقد تدار الكلمات الكثيرة على معنى واحد ثانياً ، اما كتاب الله فيخص كل لفظ بمعنى لا يتعداه. ولو اخذنا مفردة من القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر نحو (ترك) نجد هذه المفردة تحمل دلالات تختلف عن الدلالات التي وردت في كلام العرب

قال الجاحظ : لما دخل علي كرم الله وجهه المدائن ونظر الى ايوان كسرى انشد بعض من حضره قول الاسود بن يعفر:

ماذا يأمل بعد ال محرق تركوا منازلهم وبعد اياد

قال علي ابلغ من ذلك قول الله تعالى(كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) [50] فقصد عليه السلام أن القرآن الكريم جاء بأبلغ مما ورد في كلام العرب.

لذلك قال الراغب : ألفاظ القران هي لب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في احكامهم وحكمهم ، واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها الالفاظ متفرعات عنها

ومشتقات منها وبالإضافة اليها كالقشور والنوى بالإضافة الى اطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة الى لبوب الحنطة " [51].

ان اختيار الكلمة القرآنية مع ما لها من قيمة بيانية ، نجد فيها قيما كثيرة قد تكون تاريخية، دلالية كما في قوله تعالى ((فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)) [52] ، هذه الاية تحمل في طيتها دلالات متنوعة ، لان الذي ينظر من حيث البغضاء و العداوة ، يجد الكثير من العيوب في عددّه، وعندما تجلب العداوة والبغضاء كثرة الهموم وجلب الغموم نجد الباري عز وجل ذم النصارى بنقض الميثاق وذم اليهود وجعل عقوبتهم إيقاع العداوة والبغضاء بينهم [53] . وقد ذكر القاسمي في تفسيره للاية(أنهم يتعادون ويتباغضون إلى قيام الساعة حسبما تقتضيه أصواؤهم المختلفة وأراؤهم الزائفة ، فكلمتهم مختلفة ، وقلوبهم شتى ، مهما تحققت الدلالة التأريخية[54].

الإعجاز والحروف المقطعة:

أ.ل.ر

وهي الاصوات التي تؤلف تركيبا واحداً من تراكيب الاصوات المقطعة في اوائل بعض السور القرآنية . فيجب ان نتكلم بها ، ونتلمس الفاظها ، ونكتنه المعاني التي تنطوي في طياتها ، عملاً بقوله تعالى ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) [55]وفي قوله تعالى ((الر كِتَابٌ حْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))[56].

اختلف العلماء في المراد بالحروف المقطعة في اوائل السور اختلافا كثيراً ، علما ان استقراء القرآن يرجح واحداً من تلك الاقوال التي اوردها ائمة التفسير واللغة ، ونختار منها اربعة اقوال بعد استقراء آيات من كتاب الله العزيز ، ليظهر لنا وجه الاعجاز في ذلك .

ذهب الشنقيطي في تفسيره اضواء البيان في ايضاح القران بالقران "ان الحروف المقطعة (مما استأثر الله بعلمه)[57] واكتفى بذكر من ذهب الى هذا الراي ، وكأنه نظر اليها من حيث المعنى الصوتي الذي ليس ثمة دليل على المراد منه ، ففوضوا المراد منها الى مراد الله جل وعلا. وذكر السيوطي في مصنفه الاتقان في علوم القران "انها من اسماء الله تعالى"[58]والمراد بنص هذا القول واضح لا يحتاج الى تعليق. ولا دليل على هذا القول ايضاً ، لا بنص ولا سياق. والثالث : انها حروف كل واحد منها اسم من اسماء الله تعالى [59]، فالألف من (ا لم) مثلاً مفتاح اسمه (الله) واللام مفتاح اسمه: (اللطيف) ، والميم مفتاح اسمه : (المجيد) وهكذا واستدلوا لهذا الراي بان العرب قد تطلق الواحد من الكلمة ، وتريد به جميع الكلمة[60]. تقول الراجز :

قلنا لها قضي فقالت لي قاض لا تحسبي إنا نسينا الايجاف

قلنا لها قِفي فقالت لي : قاف ، لا تحسبي إنا نسينا الايجاف، وذكر أن قوله (قاف) اي : وقفت ، وصح هذا عنده بدلالة سياق البيت عليه، ولكننا لم نجد في الحروف المقطعة دليلاً يدل على، انها حروف من كلمات ، ولم يسعفنا السياق بذلك ،اما ما ذكرة ابن جني في الخصائص (قد حذفت العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك الا عند دليل عليه، والا كان ضرب من تكليف علم الغيب في موقفه)[61] وارد بذلك الشجاعة العربية في البلاغة من تقديم وتأخير وذكر وحذف وايجاز.

اما الراي الرابع فقد ذكره الشنقيطي (رحمه الله) بقوله: (قد نص على ان الحروف المقطعة قد ذكرت في اوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القران) وهو القول الذي يدل عليه استقراء القران الكريم ، ويدل على رجاحته ، وان الخلق

عاجزون عن معارضته بمثله مع انه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها[62] .

والاشارات تدل على ان الحروف المقطعة في السور المفتتحة بها يعقب عليها دائماً بالانتصار للقران الكريم وبيان اعجازه ، لان معناها التحدي والارهاص ، بان هذا القران مؤلف من نفس الحروف التي ينظم بها العرب افكارهم ، ويؤلفون خطبهم واسجاعهم ، وهم مع ذلك عاجزون عن الاتيان بمثله او محاكاته [63]. لقد اختلفت الآراء وتشعبت المقاصد ولكن لو امعنا النظر في الاقوال التي ذكرت لوجدنا ان لكل قول غرضه في اطار الغرض الاكبر الذي يحتويها جميعاً ، وهو خدمة كتاب الله عز وجل والدفاع عنه وتنزيه الله جل وعلا من النقص والتشبيه لذلك .

فمن نظر الى الحروف المقطعة من جانب خفاء المعنى المراد بها ، فوض الامر الى الله – تعالى – فيه بالإشارة– كما اسلفنا – الى انه مما استأثر الله بعلمه ، ومن ذهب إلى إنها أسماؤه – تعالى ، استدل بالشجاعة العربية [64] في اطلاقها بان يراد من الحرف الواحد جميع الكلمة به ، ومن ذهب الى انها اعجاز نظر اليها من جانب الغاية باعتبارها حرفاً من جنس كلام العرب ، وهذا ما اخترناه وذهبنا اليه [65]، وقد عرفنا من ذهب الى انها مجرد فواتح للسور[66] ليس الا ، ومن ذهب الى مطالع السور بها ، وكأنها اسماء لها ، ومن ثم تصور لطيف اخر يرى ان وضع حروف بعينها في اول هذه السور او تلك يشير الى ما كثر ترداده في السور كلها من الاصوات ، يعني : فيما تركبت منه كلماته [67]. وخلاصة القول : ان العرب لو لم يكونوا يعرفون للحروف مداليل متداوله عندهم ، لكانوا أول من انكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقد تلا عليهم موارده في القران الكريم فلم ينكروا ذلك ، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوق بعضهم الى عثرة ، وحرصهم على زلة فدل ذلك على

ان ما تلاه كان امراً معروفاً لا انكار عليه او فيه [68]، وقد وردت هذه الحروف في تسع وعشرون سورة كلها مكية ، الا ابتداء سورتي البقرة وال عمران ، فقد ورد في العهد المدني والله اعلم بما ذكرنا.

القرآن والعقل الانساني

رفع القرآن الكريم شعار الدعوة الى طلب العلم ، والنظر والتلقي ، والاخذ والحوار ، والاعتبار والاستنتاج ، وخطاب القرآن يؤثر في العقل الانساني بهذه المحاور التي تعتبر معجزات اصلية في تاريخ العلم من لدن ظهور راية الاسلام .

وليس يرتاب عاقل ، ممن يتدبرون تاريخ العلم الحديث ، ويستقصون في اسباب نشأته ، ويتشبثون عند الخاطر من ذلك اقدموا عليه ، وعند الراي اذا قطعوا به انه لو لم يكن القرآن الكريم لكان العالم اليوم غير ما هو في كل ما يستطيل به ، وفي تقدمه وانبساط ظل العقل فيه وقيامه على ارجائه ، وفي نموهه واستبحار عمرانه ، فإنما كان القران اصل النهضة الاسلامية ، وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الاولين وتهذيبها وتصفيتها ، واطلاق العقل فيما شاء ان يرتع منها[69].

ولو تأملنا في قوله عز وجل ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَو آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ))[70]

نجد ان الاصل اللغوي لمفردة العقل تأتي لعدة معان منها ، الحبس والامساك والتقيد ، وهو مأخوذ من :(عقلت البعير : اذا جمعت قوائمه)[71]، من قبل ان تنتقل الدلالة الحسية المذكورة الى المعنوية التي قال فيها العلماء اقوالاً متقاربة ، تفضي الى ان العقل ضابط كل شيء مما يفعله الانسان ، ومما قالوه (ان العقل عقلان مطبوع

ومسموع)[72] ومما تصوروه ان العقل اربع مراتب (العقل الفطري ، والعقل المطبوع ، والعقل بمعنى العلوم التي تستفاد من التجارب والاحوال ، والعقل الذي تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور) [73] فهو:(ما يعقل به حقائق الاشياء)[74]ولما كان مفهوم العقل من اكثر المفاهيم اشكالاً ، فان الاتفاق على تحديد مدلوله قبل اي كلام عنه ، ضرورة لا معدل عنها وقد حقق الشنقيطي في تفسيره المشهور اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن مفردة العقل ليحدد هذه المسألة الخلافية ، عن موضع العقل اهو في القلب ام في الدماغ ، ليذهب من ثم في تحقيق معنى المفردة المذكورة في الآية التي نحن بصددها الى ان العقل محله القلب ، وقال (والآية تدل على ان محل العقل القلب ، ومحل السمع في الاذن ، فما يزعمه الفلاسفة من ان محل العقل الدماغ باطل)[75]

واسس هذا الفهم على دليل قرآني يؤكد قلبية العقل في الظاهر ، وهو قوله تعالى((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) [76]. ومما يقوي استنتاجه وجود الباء المفيدة للسببية ، فالأذن للسمع ، والقلب للعقل ، متسقا مع هذا مع ما كان عليه جمهور المفسرين[77]، واهل الكلام كالحارث المحاسبي (ت 243 هـ) الذي قال (ان العقل نور في القلب كما البصر نور في العين) [78] ، وليس المراد هنا بمفردة "القلب" المضغة الصنوبرية التي في الجانب الايسر من الجسد ، وانما المراد النفس تارة ، والعقل تارة اخرى [79]

اما الدماغ فهو مركز الاحساس ، وهو الرابط بين انواع الاحساسات بما له من اتصال مستمر بالقلب ، فاذا اختل الدماغ فسد العقل ، ومن هنا اختلف الناس في موقع العقل قدماء ومحدثين ، وحين ينعدم الدليل على استقرار العقل في الدماغ

بحسب المفاهيم التي عرضناها ، فان ثمة علاقة تلازميه بين العقل والقلب والدماغ بحيث لا يمكن التفريط باي من اطراف هذه الثلاث ، التي تعمل ابتداء من " العقل " الذي ينقل المسموع والمنظور والمحسوس إلى الدماغ الذي هو اله التفكير ، ومركز الراي في ذلك المنقول المتنوع، من قبل ان يكون القرار النهائي بالقبول او الرفض " للقلب " ذلك المستودع الكبير للأحاسيس والمشاعر والميول [80]. ونخلص من هذا الى ان استنباط الشنقيطي قلبية العقل هو مذهب سليم ، يعززه قول النبي صلى الله عليه وسلم (الا وان في الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب) [81]، وقوله (العقل نور في القلب ، يفرق بين الحق والباطل) [82] وقول الامام علي رضي الله عنه (ان العقل في القلب ، والرحمة في الكبد ، والرأفة في الطحال ، والنفس في الرئة [83] وقول الامام احمد بن حنبل – رحمه الله تعالى (اني اقرا القران فلا اجد قلبي يعقل شيئاً) [84] ، وهذه العبارات الجليات لائمة اللغة والتفسير تذهب الى ترجيح قلبية العقل والله اعلم اية من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم فيقول تعالى ((يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)) [85](ذهب جماعة من أهل العلم بقولهم : إن المراد بقوله في هذه الآية الكريمة (يخرج منهما) أي من مجموعهما الصادق بالبحر الملح ، وان الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضهم ، وان اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من البحر الملح وحدة دون العذب) [86] وذهب الشنقيطي ببطلانه بقوله : وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية الكريمة مع كثرتهم وجلالهم [87] لا شك في بطلانه) ، ل ان الله صرح بنقيضه في سورة فاطر ، ولا شك في انك لما نقض القران فهو باطل ، وذلك في قوله تعالى (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) [88]، أي من كل واحد من العذب والملح تستخرجون حلية تلبسونها ،

وهي اللؤلؤ والمرجان وهذا مما لا نزاع فيه) [89]، وهو في هذا يقدم لنا ملمحا من ملامح منهجه في تفسير القران بالقران لمعرفة الحقيقة القرآنية التي لا يضادها شيء ، [90] وان كان اغلب المفسرين قد ذهبوا قد ذهبوا قياسا على بيئاتهم وتجاربهم على خلاف ما ذهب إليه ، فرد قولهم الغالب بالقرينة القرآنية ، وهي الآية المذكورة أنفا وهو بهذا يكتفي بظاهر النص القطعي عن البحث عن آية قرينة حسية ، وهذا من تفكير السلف الصالح بان الحقيقة الدينية تكفي بنفسها عن القرائن الحسية ،ومن الطريف ان يحظى الاستنتاج الذي خلص إليه الشنقيطي بما يؤكده الواقع بعد وفاته ، فقد ثبت وجود اللؤلؤ في الماء العذب كما ذهب إليه فضلا عن وجوده في الماء الأجاج[91] **(في القران الكريم من كل لسان)** لا جرم إن اللغات كثيرة ، وان العرب قبائل ، وتنطوي تحت كل قبيلة بطون متعددة ، ثم أفخاذ وعشائر وفصائل [92] ، ولا بد ان يكون الاختلاف قائم ، فان لم يكن في اصل اللغة ففي الفروع واللهجات . ونقصد في معنى الاختلاف ، ما يكون من تباين اللهجات وتنوع المنطق ، لأنه يشمل ابدال الحروف وحركات البناء والتقديم والتأخير والحذف والزيادة وكله من الشجاعة العربية ونريد شجاعة اللسان لا شجاعة السنان[93] .

وقد يكون الاختلاف في دلالة اللفظ الواحد باختلاف اللغات التي تنطق به ، ووقع الاختلاف منذ أواخر القرن الثاني الهجري وكان الجدل قائم بين اللغويين فيما يتعلق بتلك الكلمات الواردة في للقران الكريم من أمثال : استبرق ، مشكاة ، طه ، الصراط ، التنور ، القسطاس وغيرها [94] أما القدماء من العلماء فقد انقسموا بصدد ذلك على فريقين ، ذهب الفريق الأول إلى إن ليس في كتاب الله عز وجل شيء يفسر لغة العرب مستندين في قولهم هذا إلى قول الله تعالى ((انَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)) [95] .

وقوله تعالى ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) [96] ، وفي قوله تعالى ((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)) [97] ، فمن ادعى ان فيه شيئاً غير عربي فقد اكبر القول . وكان على راس هذا المذهب الامام الشافعي(رحمه الله) وتابعه أئمة التفسير واللغة في ذلك ومنهم ، ابوعبيده ، ابن جرير الطبري ، ابن فارس ، القرطبي [98].

وذهب الفريق الثاني ان في القران ما ليس في لغة العرب ، حتى ذكروا لغة الروم ، معتمدين على ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم ان سجيل ، اباريق ، استبرق ، الطور ، من غير لسان العرب [99]. وقد ذكر السيوطي في مصنفه الاتقان ان في القران الكريم الفاظ بغير لغة العرب ارجعها الى الحبشية .

والمحدثون تباينت آراؤهم فمنهم من ينكر وجود كلمات اعجميه في القرآن الكريم[100]، ولو امعنا النظر في العربية نجدها تشترك في عدد من الخصائص الدالة على وحدة اصلها ، ومن هذه الروابط الاصوات : هناك صوات لا تكاد تخلو منها اية لغة مثل الأصوات الشفوية (الباء والميم) والاصوات الاسنانيه (التاء الدال)الاشتقاق : الأصول الاشتقاقية ترجع غالبا الى ثلاثة احرف . وهناك عدد كبير من المفردات الاساسية المشتركة في كل اللهجات العربية نذكر منها على وجه الاستشهاد الفاظ خاصة بجسم الانسان / راس / العين / رجل .

ولما كان الوجه الذي اقبل به القرآن الكريم على العرب وجه البلاغة المعجزة ، فقد كان من اعجازه ان يأتيهم بأفصح ما تنتهي اليه لغات العرب جميعا لا سيما في ذلك من لغة قريش ، وهذه اللغات وان اختلفت في اللحن والاستعمال ، الا انه تتفق في المعنى الذي من اجله صار العرب جميعاً يخشعون للفصاحة من اي قبيل جاءتهم ، وهذا المعنى هو مناسبة التركيب في احرف الكلمة الواحدة. ثم ملائمتها للكلمة التي

بإزائها ، ثم اتساق الكلام كله على هذا الوجه حتى يكون كالنغم الذي يصب في الاذن صباً، فيجري اضعفه في النسق مجرى افواه ، لان جملته مفرغة على تناسب واحد. (101)

وقد استوفى القران الكريم احسن ما في تلك اللغات من ذلك المعنى ، وبان منها بهذه المناسبة المعجمية التي اظهرته على تنوعه في الاوضاع التركيبية مظهر النوع الواحد ، وهي مناسب معجزة في نفسها ، لان التأليف بين المواد المختلفة على وجه متناسب ممكن ، ولكن التأليف بينها على وجه يجمعها ويجمع الاذواق المختلفة عليها كما اتفق القفران ، امر لا يقول بإمكانه من يعرف معنى الامكان . القول في حقيقة الاعجاز .

اما اللغات التي نزل بها القران الكريم غير لغة قريش ، في لغة بني سعد بن بكر الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيهم ، وهي احدى لغات العجز ، من هوازن ثم سائر هذه اللغات وهي جشم بن بكر ، ونصر بن معاوية وثقيف ، وتلك هي افصح لغات العرب جملة ، ثم خزاعة وهذيل ، وكنانة ، واسد ، وضبة ، وكانوا على قرب من مكة يكثرون التردد اليها ومن بعدهم قيس والفافها التي في وسط الجزيرة (102)قال بعض العلماء : وقد كانت في القران الفاظ من لغات اخرى كقوله تعالى((لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ)) (الحجرات) اي لا ينقصكم بلغة بني عبس ، ونقل الواسطي في كتابه الذي وضعه في القراءات العشر ، ان في القران الكريم من اربعين لغة عربية ، وهي ، قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وخثعم ، والخزرج ، واشعر ، ونمير ، وقيس عيلان ، وجرهم ، واليمن ، وازد. شنوءة ،وتميم،وكنده،وحمير،ومدين،ولخم، وسعد العشيرة ،وحضرموت،وسدوس،والعمالقة ، وانمار، وغسان،ومذحج وخزاعه

،وغطفان وسبأ، وعمان، وبنو حنيفة ،وثعلي، وطيء ، وعامر بن صعصعة، واوس، ومزينه، وثقيف، وجذام،وبلى ،وعذره،وهوازن،والنمر،واليمامة [103]

ولا سبيل إلى تحقيق الجمع بين اللهجات العربية إلا عن طريق القرآن الكريم، فالقليل فيهفيه من اللهجات كثير في غيره . وقد ذكر العلماء هذه المفردات التي وردت في القرآن الكريم سواء الكلمة والكلمتين ،والكلمات القليلة، وقد أمزجت هذه الكلمات مع لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب ان يقرءوه بلحونهم وان اختلفت وتناقضت ، ثم بقي مع ذلك على فصاحته وخلوصه . لان هذه الفصاحة هي في الوضع التركيبي كما أومئنا اليه انفا [104] ، وتلك سياسة لغوية استدرج بها العرب الى الإجماع على منطق واحد ليكونوا جماعة واحدة كما وقع ذلك من بعد ، فجرت لغة القرأن على احرف مختلفات في منطق الكلام ، كتحقيق الهمز وتخفيفه ، والمد والقصر والفتح والإمالة وما بينهما ، والإظهار والإدغام ، وضم الهاء وكسرها من عليهم واليهم ، والحاق الواو فيهما او في لفظتي منهم و عنهم و ، وإلحاق الياء في إليه وعليه وفيه ، ونحو ذلك ، فكان اهل كل لحن يقرؤونه بلحنهم [105] ،وربما استعمل القران الكلمة الواحدة على منطق اهل اللغات المختلفة فجاء بها على وجهين لمناسبة في نظمه : كبراء ، وبرى ، فان اهل الحجاز يقولون : انا منك براء ، لا يعدونها ، وتميم وسائر العرب يقولون : انا منك بريء ، واللغتان : في القران . وكذلك قوله تعالى ((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ)) [106] ،وقوله تتعالى ((وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)) [107]. فان الأولى لغة قريش ، يقولون : اسريت ، وغيرهم من العرب يقولون : سريت ، وهذا باب من اللغة لم يقع الينا مستقصي ، ولكن علماء الادب ربما أشاروا الى بعض الفاظه في كتبهم [108]

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة المباركة ثبت بان:

ـ القرآن، الكريم معجز بأسلوبه ونظمه ، ويمس اللغة ويحاورها ، وهو معجزة العربية في بلاغته ونظمه واتساع رقة أوضاعه وأسراره .

ـ الكلمات في معظم لغات العالم أدوات جامدة يلفت غايتها القصوى ، وهي وظيفة التعبير وانتهت مهمتها عند ذلك ، بيد أن اللغة العربية تمتاز عن اللغات الاخرى بكونها لغة تدب فيها الحياة ،متدفقة في كلناتها التي لا تكتفي بمهمة التعبير . بل تسجل الذوق والجمال والذكاء والشجاعة .

ـ أن العلاقة الوظيفية بين الإعجاز واللغة ، علاقة تأثير متبادل لدى الإنسان .

ـ العربية أوسع اللغات مدى ، وأغزرهن مادة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة لكثرة أبنيتها ، وتعدد صيغها ، ومرونتها في التعبير أو الاشتقاق ، وكأنها خلقت لتماد الزمن.

ـ بلغت العربية حد الإعجاز وهي تعبر عن صوت الشيء الواحد بألفاظ مختلفة .

ـ الإعجاز البياني أهم وجوه الإعجاز القرآني في تحديد مدلول الكلمة القرآنية في سياق الآيات .

ـ فلسفة اللغة العربية أسهمت في بيان وجوه التصاهر اللغوي بين المفردات القرآنية .

ـ في القرآن الكريم من كل لسان من قبائل العرب الكرام ، والألفاظ القرآنية التي يقال أنها من أصل غير عربي ، هي عربية الأصل ، قديمة الجذور.

ـ وأخيرا وجد الإعجاز في القرآن الكريم لان الله أحاط بكل شيء علماً فبهذا جاء القرآن الكريم في الغاية القصوى من الفصاحة والبيان والحمد لله فـــي البدء والخـــتام.

•الهوامش

(١) لسان العرب: 10,42

(٢) معاني القرآن واعرابه : 4 / 182

(٣) مقايس اللغة : 4، 232.

(٤) المفردات في غريب القرآن :222.

(٥) البيان في اعجاز القران / ص20-21

(٦) الإعجاز العلمي في القران والسنة / ص16- 18

(٧) إعجاز القران الكريم / 27

(٨) الصاحبي : 44 ، المزهر 325,1 ، الفروق اللغوية / 25

(٩) فقه اللغة / 297- 298 ، معترك الاقران / 602/3

(١٠) تفسيرالقيم /438.

(١١) لوجوه والنظائر في القران الكريم /334

(١٢) آل عمران:97.

(١٣) تفسير النسقي :275/1.

(١٤) تفسير الجلالين 80/1.

(١٥) سورة النمل :/ 95.

(١٦) تفسير النسيقي: 594/2.

(١٧) التحرير والتنوير 232/19.

(١٨) القاموس المحيط 707/1.

(١٩) سورةالعمران / 190

(٢٠) المؤمنون/50

(٢١) لسان العرب:207/7

(٢٢) لسان العرب :23/7

(٢٣) هود /96.

(٢٤) الرحمن /33.

(٢٥) ابراهيم /10.

(٢٦) الكهف/15.
(٢٧) الذاريات: 39/38.
(٢٨) ينظر دراسات قرآنية معاصرة ص 199
(٢٩) الإسراء / 33
(٣٠) بصائر ذوي التميز من لطائف الكتاب العزيز : 2/ 242
(٣١) سور القصص / 32
(٣٢) سورة البقرة الآية : 111
(٣٣) لسان العرب : 11 /242
(٣٤) سورة النساء الآية : 173
(٣٥) بصائر ذوي التميز من لطائف الكتاب العزيز : 2/ 245
(٣٦) المجمل 225/3.
(٣٧) لسان العرب : 14 / 326
(٣٨) المراد : الوطب يسقى منه اللبن قبل أن يروب
(٣٩) سورة التكوير : الآية 2
(٤٠) سورة الانفطار :الآية 2
(٤١) ينظر اعراب القران وبيانه 231/8
(٤٢) لسان العرب 14/ 188
(٤٣) سورة الصافات /97
(٤٤) سورة الصف /4
(٤٥) لسان العرب 160/1
(٤٦) سورة البقرة / 21
(٤٧) اعجاز القرآن الكريم / 160
(٤٨) المحرر الوجيز / 5 / 205
(٤٩) فكرة اعجاز القران منذ البعثة النبوية للحمصي ، ينظر اعجاز لقران الكريم / 160
(٥٠) الدخان: 25
(٥١) المفردات في غريب القران ، ص6 المقدمة

(٥٢) سورة المائدة الآية : 14
(٥٣) تفسير الراغب الاصفهاني 302/4.
(٥٤) تفسير القاسمي 188/4.
(٥٥) سورة النساء : 82
(٥٦) سورة هود /1
(٥٧) اضواء البيان 3/ 3 –4
(٥٨) الاتقان في علوم القران : 2 / 11
(٥٩) الاتقان في علوم القرآن / 2 / 12
(٦٠) الخصائص 2 / 362
(٦١) الخصائص2 / 325
(٦٢) اضواء البيان :
(٦٣) ينظر اعراب القران 1 / 37
(٦٤) الخصائص : 2/ 362
(٦٥) اضواء البيان : 3/ 5
(٦٦) الحروف المقطعة في القران الكريم / 85
(٦٧) ملاك التاويل : 1/ 174
(٦٨) الاتقان في علوم القران : 2/ 11
(٦٩) تاريخ ادأب العرب : 2/ 92
(٧٠) الحج :/46
(٧١) معجم مقايس اللغة : 4 / 69
(٧٢) المفردات في غريب القران / 341
(٧٣) احياء علوم الدين : 1/ 75
(٧٤) التعريفات /87
(٧٥) اضواء البيان : 5/ 751
(٧٦) الحج / 45
(٧٧) المحرر الوجيز 10 / 298

(٧٨) العقل وفهم القران / 210
(٧٩) التعريفات / 100
(٨٠) المنهج العلمي للاعتقاد / 85
(٨١) فتح الباري : 1/ 52
(٨٢) ادب الدنيا والدين / 6
(٨٣) الادب المفرد : 2/ 3
(٨٤) المسند : 2/ 172
(٨٥) الرحمن /22
(٨٦) اضواء البيان : 7 /748
(٨٧) معاني القران واعرابه للزجاج : 5/ 100
(٨٨) فاطر / 12
(٨٩) اضواء البيان : 7 / 748
(٩٠) معاني القران واعرابه للزجاج : 5/ 100
(٩١) اضواء البيان : 7 / 749
(٩٢) المخصص : 2/ 325
(٩٣) الخصائص 2/ 350
(٩٤) (احكام القران القرطبي : 1/ 81 – 83
(٩٥) يوسف / 2
(٩٦) الشعراء / 195
(٩٧) فصلت / 44
(٩٨) ينظر الزهر في علوم القران : 1/ 266 ، تفسير القرطبي 1/ 82 ، التصور الصوتي في الالفاظ / 169
(٩٩) كتابات في اللغة / 105 ، التصور الصوتي / 170
(١٠٠) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغات الحديث / 56
(١٠١) دراسات في اللغة / 110
(١٠٢) المصدر نفسه / 112

(١٠٣) الجزء الاول من تاريخ آداب العرب.
(١٠٤) كتابات في اللغة / 93
(١٠٥) دراسات في فقه اللغة / 84
(١٠٦) هود / 81
(١٠٧) الفجر / 4
(١٠٨) الكامل في اللغة / 1/ 151

•المصادر والمراجع

القرآن الكريم .
١) اتقان في علوم القران : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، 1975 .
٢) أدب الدنيا والدين : علي بن محمد بن حبيب الماوردي : تحقيق مصطفى السنقا ، القاهرة ، ط 3، 1955.
٣) براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور : محمد بدري عبد الجليل ، ط2 ، بيروت 1984 .
٤) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة 1964 .
٥) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي ، ج 5 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الكويت ، 1965 .
٦) تطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن : عوده خليل ابو عوده ، الاردن 1985 .
٧) تعريفات : ابو الحسن علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب ، بغداد ، 1986 .
٨) التفسير القيم : جمع محمد أويس الندوي ، من كلام ابي عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق ، محمد حامد الفقي ، بيروت 1948 .
٩) الجامع لأحكام القران : ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ، القاهرة ، 1967 .
١٠) الحروف المقطعة في القرآن الكريم : عبد الجبار محمد حسين شرارة ، بغداد ـ 1980 .
١١) الحيوان : عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، بيروت ، ط3 ، 1969 .
١٢) الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط3 ، بغداد ، 1990 .
١٣) الدراسات القرآنية المعاصرة : محمد بن عبد العزيز السديس ، الرياض . 1370 هـ.

١٤) دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمان : ترجمة د . كمال محمد بشر ، القاهرة ، بلا تاريخ .
١٥) رؤية مستنيرة في مفهوم العقل : هشام عبد الكريم البدراني ، جدة ، 1403 هـ. ـ الصاحبي .
١٦) في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما : ابو الحسن احمد بن فارس ، تحقيق د . مصطفى الشويمي ، بيروت ، 1963 .
١٧) صحاح تاج اللغة وصحاح العربية : اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، ط2 ، 1979 .
١٨) عقل وفهم القران : الحارث بن اسد المحاسبي ، تحقيق حسن القوتلي ، 1970 .
١٩) الفاظ العقلية في القرآن الكريم ، روعة محمود ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة الموصل 1996 .
٢٠) لسان العرب : ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري ، بيروت ، بلا تاريخ.
٢١) مجمل اللغة : ابو الحسن محمد بن فارس : تحقيق هادي حسين ، الكويت ، 1985 .
٢٢) محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابو محمد عبد الحق بن عبد الغالب بن عطية ، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الانصاري ، الدوحة ، 1985 .
٢٣) مفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، القاهرة ، 1961 .
٢٤) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن : محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي ، ط 2 ، القاهرة 1386 هـ.

Philosophy of language and its impact on the Quranic miracle

Doctor / Jacob Hassan Abd
Assistant Lecturer / Mohammed Salman

(Abstract Research)

Praise be to God, prayer and peace upon our master Muhammad the Messenger of Allah peace be upon him mercy, gift, and grace, and rendered his family and the good righteous is followed until the Day of Judgment. After: The Koran, the Book of Allah Almighty good books,

and his statement above ،it is the greatest miracles revealed to the Seal of the Prophets and the messages, the face of a sleek, deep and inward, wonders never cease to exist, do not cease Graúbh, does not reveal the darkness without it .And modern Koran is emotional, multi-dimensional personality, he is the light of God to the earth, a guidance and the right and the Criterion and the miracle of two things- :

-Lack of human capacity to try the miracle, and disability in the world and one, and the continuing shortfall in the human soul with the inaction of time and progress.

-And the Koran with his style and organized by the miraculous, it affects language and language Ihorha and spirit of those Arabs Alasme poets inspired by the faces of a miracle because it is the body and the spirit of the word and the meaning of the form and content .Can not be separated one from the other one is not suspicious when he hears the Qur'an a miracle in Arabic eloquence and breadth of systems and paper conditions and secrets .The search in the form of the latter was entitled (philosophy of language and its impact on the Miracles of the Qur'an) has been completed in the introduction and five sections address the first topic: Miracles language idiomatically and eat the second section: Synonymy and miracles and the third topic: destination Quran and Miracles The fourth section dealt with: Miracles of the Qur'an and the mind while Section V humanitarian eat: Miracles and letters cut, do not say where the influence detail in this introduction, they could do about it Titles reference to the main article distributed search from beginning to end.